أَوْرَاقٌ عَزِيزْ..

تأملات فلسفية.. في خواطرك النفسية

بين الأنا... و المعنى!

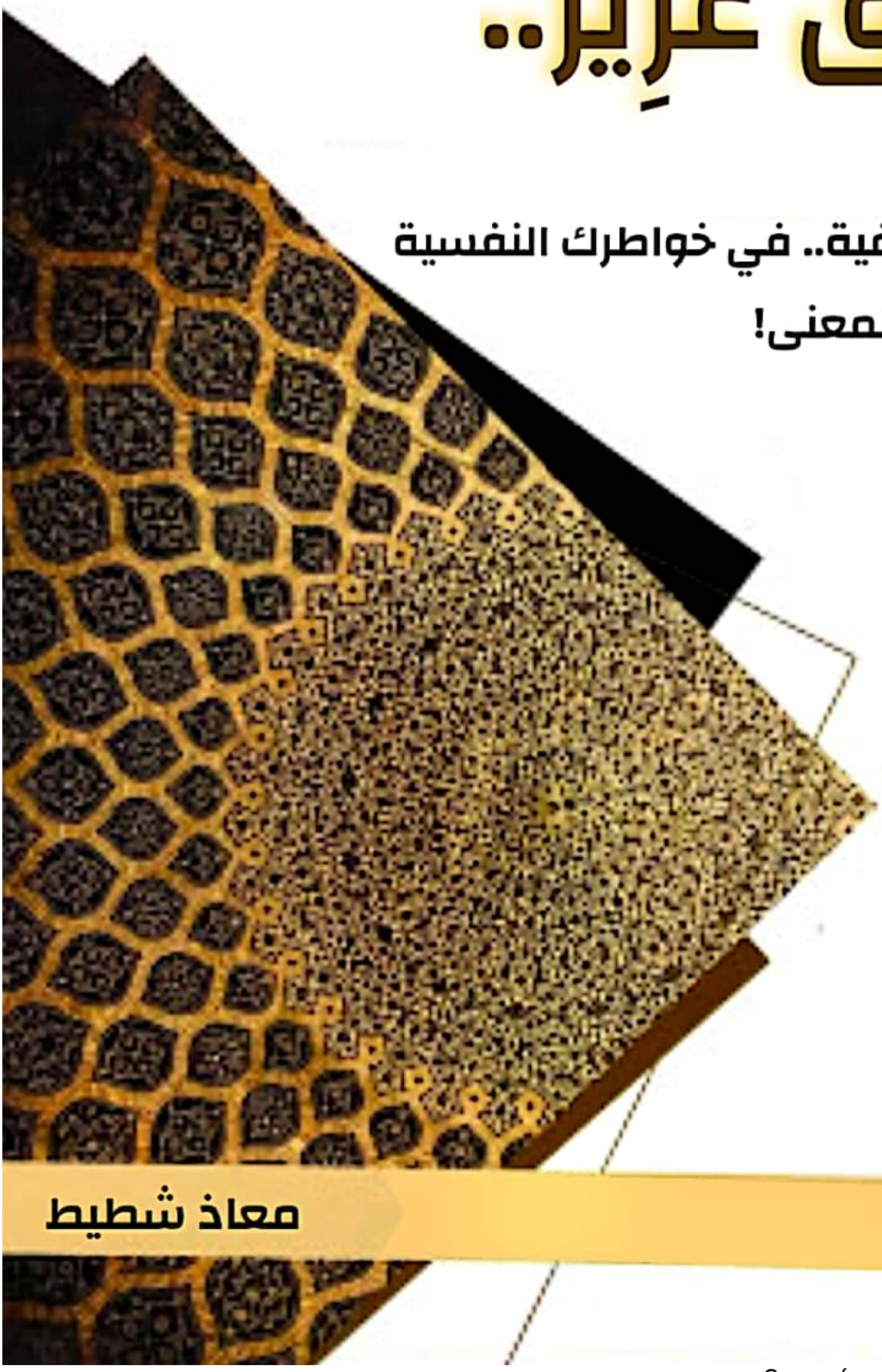

معاذ شطيط

Scanné avec CamScanner

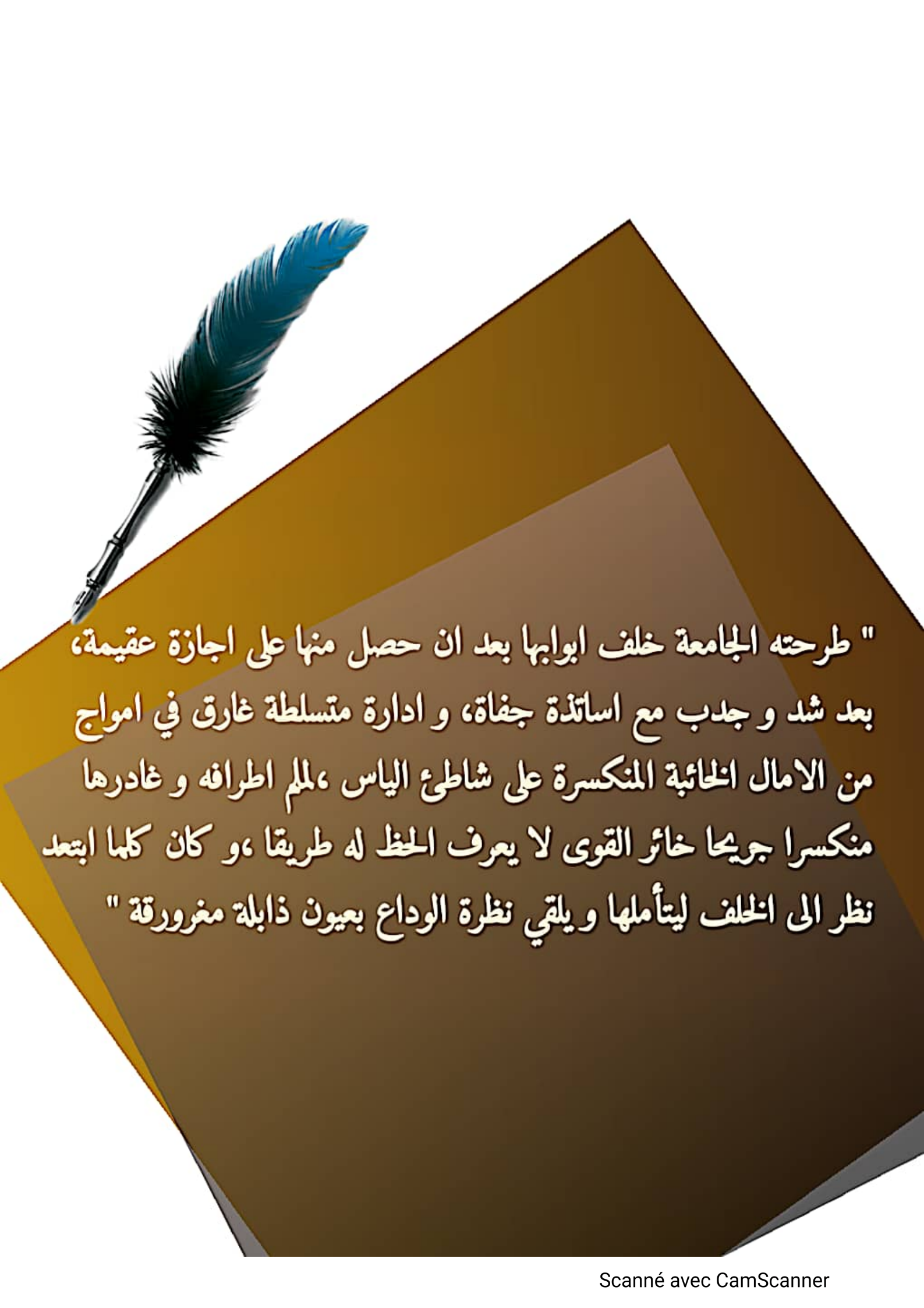

" طرحته الجامعة خلف ابوابها بعد ان حصل منها على اجازة عقيمة، بعد شد و جدب مع اساتذة جفاة، و ادارة متسلطة غارق في امواج من الامال الخائبة المنكسرة على شاطئ الياس ،لملم اطرافه و غادرها منكسرا جريحا خائر القوى لا يعرف الحظ له طريقا ،و كان كلما ابتعد نظر الى الخلف ليتأملها و يلقي نظرة الوداع بعيون ذابلة مغرورقة "

Scanné avec CamScanner

أوراق عزيز

Scanné avec CamScanner

تقديم

كنت على مقربة من أوراق، ليست أوراق عبد الله العروي، بل هي أوراق ذاكرة سرعان ما وضعت نصيبها بين طيات نسيان، أحداث ووقائع طبعها الضعف و اللين، خواطر تعج بالميئات فتثقل الكاهل وتكسر القلم، هي على طبيعتها وأنا على طبيعتي حتى التقينا وتآلفنا وكانت، أوراق عزيز، نتيجة ذلك...

سألني أحدهم لمذا لم تجعل من عزيز، ذلك العنى الحاضر في تصرفات الفرد؟ أن يكون سلوكا معبرا لمعنى معين، يعيد في ترتبه أنضار الناس في رؤية شبه تامة إلى ما هو تام، حقيقي، أقرب إليك يا "كامو"، ونسب إليك يا دكارت..
ظن هذا السائل، أني كنت حرا في اختيار المادة و الأسلوب.
كيف تكون، وأوراق عزيز، نصف موجودة، الحكاية التي يكون " الأنا" بطلها قد كتبت وقضيت، وجدت نفسي غارقا في تأملات الفلسفة، أرى بين الإثنين حوارا لا معنى له، هو ذاك! أقصد أوراق عزيز ، لا تحتاج إلى ترميم، إنها أشبه بذاتٍ لم تحقق المطلوب، سعت إلى ما يضرب عرض الحائط من الأفكار الطامحة في هذا المعنى، سعت أكثر من أبوابها الموصدة لترقد قرب جثمان معدوم، سفك دمه غيره ليقول " لا معنى للحياة" أي لا معنى لوجودك يا نيتشه..

Scanné avec CamScanner

هذه الأوراق يمكن أن تقرأ على حدة، بمعزل عن الحواشي، كما تقرأ الدواوين و الأشعار، دون الرجوع إلى ملاحضات وأخبار الراوي، لكن ما توحي به بنات الأفكار، هو أن القارئ الذي لم يعلم أنها تأملات، سيسطدم ضرورة بنفس الإشكالية التي واجهة صديقنا عزيز في أوراقه، كيف تفهم الدات الحياة؟ عند الراوي خارج دائرة الحقيقة طبعا؟ كيف ترتب أوراق عزيز إن كانت الحياة لم تسعفه في خلق معنى جديد أقرب إلى الوجود؟ أن يؤول كل هذا إلى تأملات فلسفية، تكون جملة خليط أدبيت في تركيب عقاقير فلسفية.. تأملات بالدرجة الأولى، أكثر غموضا..بما هو آت

•••

Scanné avec CamScanner

طرحته الجامعة خلف ابوابها بعد ان حصل منها على اجازة عقيمة بعد شد و جدب مع اساتذة جفاة و ادارة متسلطة غارق في امواج من الامال الخائبة المنكسرة على شاطئ الياس لملم اطرافه و غادرها منكسرا جريحا خائر القوى لا يعرف الحظ له طريقا و كان كلما ابتعد نظر الى الخلف ليتأملها و يلقي نظرة الوداع بعيون ذابلة مغرورقة.

دخل كعادته مستعجلا الى الفصل، لم ينتبه عندما سقطت منه تلك الورقة، فمضى على عجل وكأن شيئا لم يحدث، كان في سيره أقرب إلى الحياة اليوم سيروي حكاية عزيز، حكاية متقاعس عاطل، وما جدوى الأمر وقد ضاعت منه الورقة، بل أوراق، صناعة دات، محْوُ فكر، شبيه بالوجود الشّارد، تناول نفس القلم ثم بسط على راحتيه منشورا فلسفيا عن المعنى ، جعل يقلبه ذات مرة، ويرسم في كراسته بعض المعطيات، الورقة أين هي؟.. لن تكتمل أوراق من دونها، ربما لم يدرك بعد أنها مرمية مطروحة، تعبث بها الأقدام المارة دون كتراث، لا معنى لها إلم تكن في يده... دون تصرف، بالأمس شاهد مسرع الحياة، آلاف من البشر يلقى نفس النهاية، سيناريو متكرر، ضل جالسا ثم في لحظة شرود وهو حبيس بين شبحين، يرا في حوارهما شيئا لا بد له من نهاية، "الأجدر أن تستمر" (رجل راغب) " لا هذا أمر جائر" (فطن مغلوب)، بينما هو غير واع بالحديث، يعلم أنه لاجدوى من العبث، ما دامت له نهاية، تشغله أوراقه المتقاضية بالدرجة الأولى، يجد لها سرا، الأن بات يتضح له غياب الورقة، صاح بكامل الوجوده، ولم يحرك ساكنا، الورقة الأن باتت موضع إشكال، لن تكتمل سيرة عزيز وهذه الأوراق شبه لا معنى لها، ينتابه الفضول..

Scanné avec CamScanner

احساس الخيبة والشفقة كل شيء ضاع منه، لن تتاح له شهادة كاملة، رواية عزيز طرحت فالقمامة من يعيد تقليبها، كان لا يجد للحياة معنى يطل عليه كل ليلة شبح نتشيه وفي يده دم ديكارت، لا معنى لسيرة عزيز، أي لا جدوى من شهادة تمسي كهذه الأوراق.. داخل القمامة ، لم يتفطن إلى الموضوع المطروح، مذا لو كان عزيز حاضرا؟ أي عزاء.. عزاء الداة الهشة لداتها، مذا لو قال أن للحياة معنى أسيرضاها هو، أو أنه لا معنى لوجوده، يصبح دمية لإريك فايل، اتكأ ثم جعله حوارا منولوجيا، كقعوده الأول ، أنت أريد تلك الشهادة (رجل راغب) ، " اعمل لأجل ذلك" (فطن مغلوب).. ثم يتوقف النقاش، يمسك بدوره طرف الحديث يقلبه في دهنه لا أسلوبا صريحا للحياة، ولا وقتا للنهاية، الأمر حساس للغاية، لن تأتي الشهادة دون فعل، هو ذاك.. أكون المطلوب ، قام مسرعا ولم يلهه الأكل ولا منعته الحال الممطرة بالخارج ساوا بين الإثنين ركد في شبه ثياب للنوم، لا حوله المطر عن المراد هو يشعر به على جسه يشعر بالمحيط في كل منعطف يدرك مذا تسرعه قبل ذلك بساعة فالمقهى أمام أوراق عزيز، ويعلم قدر عجلته الأن ليعيد نفس المشهد، يثبت ندمه هو بالحد ذاته ردة فعل معبرة عن الوجود، يقسها بخطواته العتيدة إلى المعنى ، وصل مبللا، أخد يبحث في موضع جلوسه عن المراد، أوراق عزيز ما زالت شبه لا معنى لها، ألم يرمها قبل قليل، ألم يقل أن الحياة لا معنى لها، لقد نسي دم ديكارت، تناول أوراقه وجلس يرممها كما العادة، وفي كل خطوة يحصل له القصد، هو يعي مذا قصديته للأفكار المتراكمة، وكأنه إدموند هورسل يربث على كتفيه، بدء يعي مذا عمق كلمة أنا موجود وضرورة أنا أفكر، اكتسب من التجربتين، "كم هي سطحية أفكارك يا نتشيه"

Scanné avec CamScanner

اكتسب من الوجود تقة متبادلة تحفزه للتفكير في دوره، علم أن الورقة التائهة لم تكن سوى اعتدار من عبد العزيز أنه لم يفهم الحياة كما ينبغي سقط في ما وقع فيه هو نجى من سجن العدمية، إلى الوجودية و العبثية ، كان يستشعر وهو يعيد ترميم أفكار عزيز أن وجوده ذو معنى ماذام لهذا الإعتذار سببا مفكرا فيه، لا يستطيع الوتوق في الرغبة ولا الصبر على القيم، ولكنه يعذل بين هذا وذاك وكما أنه سقط في ضن فرويد، لا يمكنه تحقيق انخلاص ومعرفة ذاته من وعيها ولكن غموضه يجعله ضاهرا في الأفعال، كم هو صريح بالكيفية يا راسل، فالمعرفة الشعورية ،معرفة الحواس مع ابن رشد، أو ربما تخدعك فلا مناص من ذاكرة لها قدرة القبول و الرفض ليتك تفهم يا برغسون..،أنها في ربع ورقة ما كانت ستحفضه الكتب، الحياة شبحٌ صديق الرغبة عندما تحكم القيم، كذلك العكس، فعزيز مثال لثنين.. رجلين غير متكافئين، جعلته صريعا في أوراقه، شاردا في عدمية نتشيه، يحمل على كاهله نفس الصخرة التي حملها "سزيف" مصير واحد، لا أمل له ما دام لا يعبؤ بعدمية الأشياء، كل ذلك في أوراق ذات وفكر، لا بد لها من مقدمة، أضنها قضيت...

Scanné avec CamScanner

.... "و كانت لحظة تغتاله، و كل مشهد من مشاهد الماضي ترك في نفسه صدا، وبين كل زاوية من زواياها و حجرة من حجراتها، حوار درامي لذكرياته يعتصر احاسيسه، يثقل خطاه يشعر بقوة غريبة تجدبه الى الخلف، لكن انتهى كل شيء لا مجال للرجوع الى الوراء ،استدار و اكمل خطواته المتثاقلة مطأطأ الرأس" ..... يتبع

Scanné avec CamScanner

هذه أوراقك، خذها أنت أولا الناس بها وإلا اشتراها بقال الحي ليحرقها أو يغلف بها الفول و الحمص.. الكتابة حرفتك.. يحتفل الناس بالخمسينيات فلنحتفل بأربعينيات عزيز ، عشرون سنة في ضلمات الوهم.. وعشرون أخرى..! من يتسأل ؟

من قال لك في أنه يرغب في حفض ذكره؟ بيد أنها أوراقه التقادية بالدرجة الأولى، لم تقم بالمستوى المطلوب..

يقول : اليوم مزحة وغدا سنعيش

أوراق عزيز ، لا يمكن عزوها في الركن هناك، ألا يكون هذا سبب ما حجبه عنا وختفى بوفاته، بالا شك أنها أوراق غير متسلسة..

تونى عن الأنضار وهو يعد عدته لأخد نفس طويل من الشرفة المقابلة، صار اقرب شيئا ما، في غايته، أو لعل الأقل استارح من روتينه القار ليومين، يتأهب فيها كعادته في ضل تآملاته فلسفية تكون أكثر تورطا من ذي قبل، أوراق عزيز، قرأها وهو يعالج أطروحة ركور، لم يفهم محل ذلك كله، أولم يتخلص من شبح هذا العجوز، ليس من السهل أن يعزوها وهي في حياته.. تكون غاية فالدقة، يتكلم لغة واحدة ويعيش في وسط واحد، الكلام ومزالقه، كتب وكأن لا أحد درس الذاكرة ومخادعها، اليوم ذكرى عزيز، وفات ميت بلا آمال، أي ذكرى هي، وجود شارد في الوهم أكثر تعرضا لمعنى الحياة فالواقع، واقع الأوراق..

Scanné avec CamScanner

كأنه في حالة ماركسية عبد الله العروي، أو في شكل آخر مع ركور، تقدم كعادته في مقالة فلسفية، أوجز ما عرض فيها " ليس للوهم حقيقة وليس كالحقيقة وهم" ضن أن تساؤل عزيز ليس في محله، أوراقه متشردة في عالم واهم، أكثر لما عرضه ركور، أكثر ملائمة في سياق واحد، اتكون الإديولوجيا، الإديو.. مذا ؟ ومن يعلم؟ علم الأفكار ليست صياغة جيدة إن كان يعترف بها عزيز، يزيد من طموحه في تبرير الواقع، في شبه إدماج متزن يراعي معتقداته، ثم كتب أخر ما تناوله " إنه سلوك معبر عن الإديولوجيا.. أكثر تمثلا لوضائفها في حياة عزيز"

صار الأن يفهم واقعه هو الأخر، يعلم مذا قر رجعيت عزيز في تبرير واقعه المر، تبين له أنه ليس بالصدفة بما كان، أن تطابق الحروف الكلمات، أطروحة ركور من الماركسية إلى تشويه الواقع وقلب للحقائق، يبدو تعرضا للمسطلح قبل أوانه.. كذلك أوراق عزيز ، تسأل مرارا وهو يختم على أوراقه.. أقصد أوراق عزيز ، ما ذنب هذا العجوز إن كان ركور أكثر قصوة في وصفه للواقع.. الواقع / الحاضر ، لما الحياة شبه منعرج تطل عليه محلات تثير انتباه المارة، يتذكر بمرارة يوم رما أوراق صاحبه في القمامة، منعرج يثير قابلية التساؤل ، مراقبة مستمرة... لكن احذر قد تتلقفك أشباح متوجسة، هو ذاك بالدات شبه نتشيه، لم ينسى دم دكارت، فشعبيته لم تغني في كبث أفكار معدوم متوجس.. إنها الفلسفة في محل آخر، تنضر للمجرد بنهم ، هل أوراق عزيز من جملة ذاك ، السيرة التي يكون " الأنا" بطلها.. هي مسألة دراسة

Scanné avec CamScanner

تبدو أقرب للعين في صورة تامة، لكن ما يضللها أيادي متعطشة.. إنها أشبه بحديقة مبوبة، أكثر ما يملئها، أقران العشر سنوات.. يتزحلقون وآونة يركلون وأخرى يصرخون.. بل هي تأملاتهم لأشكل وأجسام في دائرة تشبه نوعا ما فلسفة التأمل بامتياز..
أوراق عزيز ، أخدها وجعل يرممها دون حاجته إلى التدوين.. أضنها قديت بل أكثر من مرة..

"إنها روعة الاحساس خروج من موقف الشرود الى لحظة الحضور الى الكينونة و الانعتاق من براثن الوحدة و زنزانة الذات، خروج من موقف اللاشعور الى موقف الوعي و الحضور الذهني، حيث لا معنى للفراغ لا وجود للمرآة الحزينة التي كلما انعكست عليها كل صورة مضيئة الا و أطفأت نورها و سيرتها حلقة في مسلسل احزانها ، مسلسل تأملات ، لا مجال اليوم لتلك الاحاسيس الفوضوية و العوالم المظلمة، انه تحرر الذات من سجنها.. تحرر في بادئه قيود، أن تكون أوراقا محررة متحررة.. لا أوراق عزيز، بل أوراقه فقط..

Scanné avec CamScanner